الفصل الثاني

المشاركة السياسية للمرأة المسلمة في صدر الإسلام وجهادها في سبيل الله

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

لعبت المرأة المسلمة دورًا أساسيًا وجهاديًا كبيرًا في صدر الإسلام، وذلك لأن الإسلام قد حرر المرأة وفتح لها الباب واسعًا بل أوجب عليها المشاركة في بعض الأمور السياسية وترك لها البعض الآخر اختياريًا، ولا شك أن هذا المبدأ الذي ثبت من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ووقائع صدر الإسلام يؤكد على ضرورة مشاركة المرأة في الجهاد السياسي والاجتماعي بل والعسكري في كل عصر وفقًا لحاجات وظروف العصر. ولا شك أننا الآن أحوج ما نكون إلى هذه المشاركة من المرأة المسلمة لأن أمة الإسلام تواجه حاليًا تحديات ضخمة تحتاج لجهود المرأة والرجل معًا.

ولقد ساهمت المرأة المسلمة في صدر الإسلام بجهد هائل في الدعوة إلى الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمشاركة في القتال بكافة الوسائل والهجرة وتحمل الأذى والتعذيب وغيرها من أشكال المشاركة السياسية.

فأول من استجاب إلى دعوة الإسلام امرأة وهي السيدة خديجة بن خويلد، وكان لاستجابتها وتصديقها أثر هائل في تثبيت قلب الرسول ﷺ مما ساهم في نجاح الدعوة، وكذلك ساهمت السيدة خديجة بأموالها ونفوذها وسمعتها الطيبة في الترويج لهذا الدين الجديد، وقال قولتها الخالدة لرسول الله ﷺ عندما أخبرها بنزول الوحي إليه وتكليفه بالرسالة قالت: «كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلَّ، وتُكسِب المعدوم، وتقري الضيف.. إلخ»[1].

وكانت المرأة في بعض الأحيان أسبق إلى الإيمان من أبيها مثل أم حبيبة بنت أبي سفيان التي أسلمت وهاجرت إلى الحبشة ثم إلى المدينة ولم يزل أبوها أبو سفيان مشركًا[2].

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) أسلم أبو سفيان عام الفتح.

أو أسبق من أخيها مثل فاطمة بنت الخطاب التي أسلمت قبل عمر بن الخطاب بل كانت سببًا في إسلامه[١].

أو تسبق زوجها إلى الإسلام مثل أم سليم، ومثل حواء بنت يزيد الأنصارية وغيرهما[٢].

والمرأة المسلمة تثبت على الإسلام رغم ردة زوجها، فها هي أم حبيبة بنت أبي سفيان التي أسلمت مع زوجها الأول عبيد الله بن جحش وهاجرت معه إلى الحبشة، فلما ارتد زوجها أثناء الهجرة في الحبشة ثبتت هي على الإسلام ثم هاجرت إلى المدينة وتزوجها الرسول ﷺ بعد ذلك[٣]، والمرأة المسلمة تسبق مواليها إلى الإسلام رغم ما في ذلك من خطر تهديدها من هؤلاء الأسياد مثل حمامة وأم عبيس والنهدية وابنتها وزنيرة وجارية بني عدي وغيرهن[٤].

بل وتسبق أهلها جميعًا إلى الإسلام مثل أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط[٥] وقد أسلمت بعد صلح الحديبية فجاء أهلها يسألون الرسول ﷺ أن يردها إليهم فلم يقبل ذلك.

***

وقد تعرضت المرأة المسلمة للتعذيب والإيذاء النفسي والبدني بسبب إسلامها ولكنها تمسكت بالإسلام وصبرت على الأذى، فها هي السيدة سمية بنت خياط أم

(١) فتح الباري.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد.

(٤) البخاري – كتاب المناقب – باب إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد.

عمار بن ياسر تصبر عند التعذيب وتصر على الإيمان إلى أن يضيق بها معذبها وهو أبو جهل فيضربها بحربة فتكون أول شهيدة في الإسلام، وهاهي فاطمة بنت الخطاب يضربها أخوها عمر بن الخطاب عندما يعلم إسلامها فتصبر وتواجهه بالحق فيذعن لها ويُسلم ويكون هذا سببًا في إسلامه.

ومن النساء اللاتي تعرضن للتعذيب بسبب إسلامهن أم حمامة وأم عبيس، وزنيرة، والنهدية وابنتها، وجارية بنت بني عدي وكان عمر بن الخطاب يعذبها على الإسلام قبل أن يسلم[1].

***

وهاجرت المرأة فرارًا بدينها مثل أم حبيبة وأم سلمة وأسماء بنت عميس وأم خالد ابن سعيد بن العاص، ورقية بنت النبي ﷺ وسهلة بنت سهل امرأة أبي حذيفة وليلى بنت أبي حثمة امرأة عامر بن ربيعة وغيرهن[2]، كما هاجرت الكثيرات إلى المدينة قبل هجرة الرسول أو بعدها إلى المدينة ومنهن من هاجرت مع صحبة من الرجال أو النساء ومنهن من هاجرت وحيدة مثل أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ووليدة وغيرهما[3].

***

وقامت المرأة المسلمة بدورها في الدعوة إلى دين الله فها هي أم شريك القرشية تسلم وتدعو قومها إلى الإسلام، والمسلمون يومئذ قلة مستضعفة، وكانت تدخل على نساء قريش وتدعوهن وتُرغِّبهن في الإسلام[4]، وها هي أم سليم امرأة أبي

(١) ابن عبد البر، كتاب الدرر في المغازي والسير.

(٢) فتح الباري.

(٣) البخاري- باب توبة المرأة في المسجد .

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة – لابن حجر العسقلاني.

طلحة عندما جاء أبو طلحة ليخطبها فدعته إلى الإسلام وسفهت له الشرك وجعلت مهرها إسلامه فأسلم وتزوجها وكان ذلك مهرها، قال ثابت البناني : « إني ما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم»[١].

وعن عمران بن حصين: «أنهم كانوا مع النبي ﷺ في مسير.. وقد عطشنا عطشًا شديدًا، وبينما نحن نسير إذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فقلنا لها: أين الماء؟ فقالت: إيه لا ماء. فقلنا: كم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: يوم وليلة. قلنا: انطلقي إلى النبي ﷺ.. فأمر بمزاديتها.. فملأنا كل قربة معنا وأداوة غير إننا لم نسق بعيرًا وهي تكاد تبض من الملء ثم قال: هاتوا ما عندكم، فجمع لها من الكسر والتمر حتى أتت أهلها قالت: أتيت أسحر الناس أو هو نبي كما زعموا فهدى الله ذلك الصَّرم وتلك المرأة فأسلمت وأسلموا»[٢].

***

وكانت النساء تبايعن رسول الله ﷺ باعتباره رسولاً وباعتباره إمامًا أي باعتباره مُبلغًا عن الله قائدًا لجماعة المسلمين ومما يؤكد وجود الاعتبار الثاني قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ وقوله ﷺ عن طاعة الأمير: «**إنما الطاعة في المعروف**»[٣].

وقد شهدت النساء بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك (.... فاجتمعنا عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلاً ومعنا امرأتان أم عمارة بنت كعب إحدى نساء بني مازن، وأسماء بنت عمر بن عدى إحدى نساء بني سلمة)[٤].

(١) صحيح النسائي – كتاب النكاح باب التزويج على الإسلام.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) عبد الحليم أبو شقة – مرجع سابق.

(٤) فتح الباري.

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. [الممتحنة:١٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبو بكر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد. فنزل نبي الله ﷺ فكأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ حتى فرغ من الآية كلها ثم قال حين فرغ: أنتن على ذلك وقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله، لا يدري الحسن من هي، قال: فتصدقن وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال»[1].

***

وكانت المرأة المسلمة تجير على رسول الله ﷺ فلا يرد جوارها، مثل أم هانئ بنت أبي طالب التي أجارت ابن هبيرة فأراد علي بن أبي طالب أن يقتله، فذهبت أم هانئ إلى رسول الله ﷺ وقالت له ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»[2].

***

والمرأة المسلمة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، فهاهي أسماء بنت أبي بكر

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

ترحب بلقاء رجل فقير يطلب معروفًا وتسمح له بالبيع في ظل دارها، بل وتحتال مع الرجل على زوجها ليسمح له بذلك، عن أسماء قالت: جاءني رجل فقال: يا أم عبد الله إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك، قالت: إني رخصت لك أبي ذلك الزبير، فتعال فاطلب إلى الزبير شاهدًا فجاء فقال: يا أم عبد الله إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك، فقالت: ما لك بالمدينة إلا داري! فقال لها الزبير: ما لك أن تمنعي رجلاً فقيرًا يبيع؟! فكان يبيع إلى أن كسب..[1]، وها هي أم شريك الأنصارية تفتح بيتها للضيفان فينزل عليها المهاجرون من أصحاب رسول الله ﷺ وكأنه منتدى للخير[2]، عن فاطمة بنت قيس قالت: «قال لي رسول الله ﷺ: انتقلي إلى أم شريك – وأم شريك امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان – فقلت: سأفعل، فقال: لا تفعلي إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان» وفي رواية: «بآيتها المهاجرون الأولون»[3].

وفي إطار النهي عن المنكر فها هي أم الدرداء امرأة الصحابي الجليل أبي الدرداء تتصدى للخليفة عبد الملك بن مروان فتنهاه عن منكر صدر منه، وذلك عندما قام الخليفة عبد الملك بن مروان بلعن خادمه، فقالت له أم الدرداء: سمعتك الليلة لعنت خادمك حين دعوته، فقالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: **«لا يكون اللعناء شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»**[4].

ولعل الآية القرآنية الكريمة قد أوجبت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الرجال والنساء على حد سواء لقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ**

(١) رواه مسلم.
(٢) عبد الحليم أبو شقة – مرجع سابق.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.

بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.[التوبة:٧١].

وها هي امرأة من المسلمين تأمر القوم بالمعروف عندما ترى أحد المسلمين يؤم المسلمين وهو يرتدي بردة قصيرة إذا سجد تقلصت فتطلب من المسلمين أن يغطوا عورة هذا القارئ وهو سلمة أبو عمر فيقوم المسلمون بشراء قميص له، ويقول عمر بن سلمة عن أبيه في هذا الصدد (... وكانت عليَّ بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنها است قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصًا فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص»[1].

وفي إطار معارضة الحاكم المسلم فالسيدة عائشة رضي الله عنها تعارض الإمام عليا رضي الله عنه، وها هي السيدة أسماء بنت أبي بكر تواجه الحجاج بن يوسف الثقفي وتصفه بالمبير أي الكثير القتل قائلة له : «أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا، فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه»[2].

وهي نفسها التي تشجع ابنها على المضي في المعارضة قائلة له «وهل يضير الشاة سلخها بعد ذبحها».

ولعل من أهم الوقائع المشهورة في صدر الإسلام إنكار امرأة على عمر بن الخطاب وهو فوق المنبر أمام المسلمين جميعًا عندما دعاهم إلى تقليل المهور وقد أقر عمر برأيها قائلاً : «أصابت امرأة وأخطأ عمر».

***

وفي إطار اهتمام المرأة المسلمة بأمور السياسة في صدر الإسلام فها هي زينب

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

بنت المهاجر يشغلها مستقبل الأمة الإسلامية وتتحدث مع أبي بكر في ذلك[1]، وتقول له : «ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية، قال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم، قالت: وما الأئمة، قال: أما كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعون، قالت:بلى، قال: فهم أولئك على الناس»[2].

وها هي عائشة تتحرى أحوال أحد الأمراء. عن عبد الرحمن بن شماس قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء فقالت: «من أنت: فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئًا إنه كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه والعبد فيعطيه العبد ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة.. »[3].

***

وكانت المرأة في صدر الإسلام تشير على الرسول ﷺ وصحابته فها هي أم سلمة تشير على الرسول ﷺ يوم الحديبية مشورة عظيمة يكون فيها نجاة المسلمين، ذلك أن بعض المسلمين شعر بالضيق من شروط صلح الحديبية، فلما أبرمه الرسول ﷺ وجاء إلى المسلمين يطلب منهم أن يقوموا فينحروا ثم يحلقوا ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: «يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك. نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق لبعض ...»[4].

(١) عبد الحليم أبو شقة – مرجع سابق.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

وقد حفظت لنا كتب السيرة أخبار أم سلمة تشير على رسول الله ﷺ يوم حنين، وحفصة تشير على أخيها عبد الله بعد طعن عمر بن الخطاب، وكذلك حفصة تشير على أخيها عبد الله يوم التحكيم بين علي ومعاوية فقد أشارت عليه بحضور التحكيم والصلح ففعل.

***

وشاركت المرأة في رواية الأحاديث النبوية الخاصة بالهدي النبوي في مجال السياسة مثل أم سلمة وعائشة وأم الحصين[1].

وكانت المرأة المسلمة من قوة الشخصية والثقة بالنفس وبالدين، وكذلك كان المجتمع الإسلامي بالنسبة لها يحفظ لها مكانتها ويحترمها لدرجة أن كثيرات من المسلمات كن يخالفن الرجال من الصحابة في كثير من المواقف والآراء دون أن يستنكر أحد عليهن ذلك، فها هي حفصة بنت عمر تستدرك على عبد الله بن عمر عن نافع قال: لقي ابن عمر ابن صائد في بعض طرق المدينة فقال له قولاً أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت له: «رحمك الله ما أردت من ابن صائد! أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما يخرج من غضبة يغضبها**»[2].

وكذلك استدراك أم يعقوب وحوارها مع ابن مسعود، وجدال خولة بنت ثعلبة مع رسول الله ﷺ حول ظهار زوجها منها، ومواجهة أسماء بنت قيس لعمر بن الخطاب يوم قلل من شأن هجرة أصحاب السفينة، ومواجهة أم سلمة لعمر بن الخطاب يوم إنكاره على نساء النبي مراجعتهن له، واستدراك فاطمة بنت قيس على القائلين بوجوب إقامة المطلقة ثلاثًا في بيت الزوجية فترة العدة، أما السيدة عائشة

(١) راجع في هذا الصدد عبد الحليم أبو شقة – مرجع سابق.

(٢) رواه مسلم.

فقد استدركت على كثير من الصحابة في كثير من الأمور مثل استدراكها على عبيد الله بن عمير في طريقة اغتسال النساء واستدراكها على رواية عبد الله بن عباس في شأن الهدي، واستدراكها على قول ابن عمر بشأن تطيب المحرم وكذلك استدراكها على أبي هريرة وغيرهم من الصحابة، وقد أورد الزركشي استدراكها على ثلاثة وعشرين من أعلام الصحابة مثل بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وبلغ عدد استدراكاتها تسعة وخمسين، وقد ألف الزركشي كتابًا قصره على موضوع واحد هو استدراك السيدة عائشة على الصحابة وأسماه «الإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة»[1].

ولقد شاركت المرأة المسلمة في صدر الإسلام في القتال بطرق متعددة فقد كن يشاركن في حمل القرب إلى الناس في الغزو، فعن ثعلبة بن مالك « ... قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد»[2] ويقصد أم سليط وهي من نساء الأنصار ممن بايع الرسول ﷺ.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب ... على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم يجيئان فتفرغانه في أفواه القوم»[3].

ومنها مداواة الجرحى :

فعن أنس بن مالك قال : «كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار

(١) عبد الحليم أبو شقة - مرجع سابق.

(٢) رواه البخاري وتزفر لنا القرب: أي تحملها.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى »[1].

وعن الرُّبيع بنت معوذ قالت : «كنا نغزو مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى»[2].

وكذلك رد الجرحى والقتلى إلى المدينة.

عن الرُّبيع بنت معوذ قالت «كنا نغزو مع النبي ﷺ نسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة»[3].

وقامت بعض النساء يحملن السلاح للدفاع عن أنفسهن، فعن أنس أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا فكان معها فرآها أبو طلحة فقال: «يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا الخنجر؟» قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه فجعل رسول الله ﷺ يضحك»[4].

وقد شارك في غزوة خيبر على سبيل المثال خمس عشرة امرأة هن «أم سنان الأسلمية، أم أيمن، وسلمى مولاة رسول الله ﷺ، وامرأة أبي رافع كعيبة بنت سعد الأسلمية، أم مطاع الأسلمية، أم بنت قيس الغفارية، أم عامر الأشهلية، الضحاك بن مسعود الحارثية، هند بنت عمرو بن حرام، أم منبه بنت عمرو، أم عمارة نسيبة بنت كعب، أم سليط النجارية، أم سليم، أم عطية الأنصارية، أم العلاء الأنصارية»[5].

بل وشاركت النساء أحيانًا في القتال مباشرة فها هي صفية بنت عبد المطلب

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد.

كانت في أحد الحصون في غزوة الخندق ويسمى «حصن فارع» فلما شاهدت أحد اليهود يحوم حول الحصن نزلت إليه بعامود في يديها فصرعته وبرهنت على مدى قوتها وبطولتها وشجاعتها[1].

وها هي نسيبة بنت كعب الشهيرة بأم عمارة، تثبت بجانب الرسول ﷺ في غزوة أحد عندما حاصره المشركون بسيوفهم وتقوم بالقتال بالسيف ضد الكفار وجهًا لوجه بشجاعة نادرة حتى تصاب ثلاث عشرة إصابة إحداها في عنقها وقد نزف منها الدم بغزارة دون أن تتزحزح عن مكانها دفاعًا عن الرسول ﷺ[2].

وها هي السيدة أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب عندما شاهدت أبا لهب وهو يهجم على أبي رافع ويطرحه أرضًا ويحاول قتله تعالجه بضربة قوية من عامود حديدي فوق رأسه فيصاب بإغماء وينجو ذلك الصحابي أبو رافع، وقد ظل أبو لهب طريح الفراش حتى هلك[3].

بل وتصل المرأة المسلمة إلى الذروة في صبرها وجلدها على المصائب فها هي الخنساء التي قامت بحثِّ أبنائها الأربعة على الجهاد في سبيل الله والخروج إلى معركة القادسية فلما استشهدوا جميعًا صبرت صبرًا جميلاً عندما علمت بذلك وقالت قولتها المشهورة: «الحمد الله الذي شرفني بقتلهم، وإني لأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».

وقد سجلت كتب السيرة الصبر والاحتساب لكثير من المسلمات الأوائل مثل حمنة بنت جحش التي فقدت في معركة واحدة زوجها مصعب بن عمير وخالها حمزة

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) سيرة ابن هشام.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة.

ابن عبد المطلب فلم تزد عن قولها: إنا الله وإنا إليه راجعون.

ولقد ظلت المرأة المسلمة دائمًا في طليعة المجاهدين دفاعًا عن الإسلام في مختلف المعارك بعد ذلك حتى أن المستشرق المعروف إدوارد جيبون يقول: «إن هؤلاء النساء اللاتي تعودن الضرب بالسيف والطعن بالرمح والرمي بالنبل هن اللاتي إذا وقعت إحداهن في الأسر، تكون قادرة على صيانة عفتها وحفظ دينها وكرامتها في مواجهة أي إنسان تحدثه نفسه أن يريدها بسوء»[1].

***

وهكذا فإن المرأة المسلمة وإن لم يفرض عليها الجهاد، فإن الباب مفتوح لمن أرادت منهن التطوع وأنست من نفسها قوة ورغبة، هذا حين يكون الجهاد فرض كفاية، أما حين يكون فرض عين ولم يُفِ الرجال بالحاجة وجب على المرأة القادرة الخروج إلى الجهاد[2].

◆◆◆

(١) إدوارد جيبون – سقوط الدولة الرومانية.

(٢) عبد الحليم أبو شقة – مرجع سابق.